الفصل الثالث عشر

الطب البيطرى

عثـر على بردية كاهون التى تبرز الطـب البيطرى للمصرى القديم عام ١٨٨٩م ومضمون هذه البرديـة يتعامل مع أمراض العيون التى تصيب الحيوان، فقد اهتم المصرى القديم بعالم الحيوان كجزء من الطبيعة واحترم بعض خصال وخصائص الحيوان فاستأنس بعضها وقدس البعض الآخر ولجأ إلى مساعدة الحيوان له فى الحقل وفى التنقل.

ومن هذا المنطلق حرص المصرى على رعاية الحيوان ومنحه العلاج اللازم عند الضرورة.

يبرز هذا المنظر وضع القطة أسـفل مقعد السيدة، بينما القطة الأخرى تعلو أرجـل صاحب المقبـرة. مقبرة إيبـوى ١٢٥٠ ق. م تقريبا.

كمـا حـرص على دفن بعض حيواناته المقدسـة بعد تحنيطها، وأجاد تشـريح الحيوان بعد ذبحه. وقد تم العثور على أسد محنط فى منطقة سقارة مجاورا لمقابر القطط باسطت. ومن المعروف أن الأسـود استانسـت فى مصر القديمة وحنطت ولكن هيكل الأسـد الذى عثر عليه يعتبر الأول من نوعه الذى اكتشف.

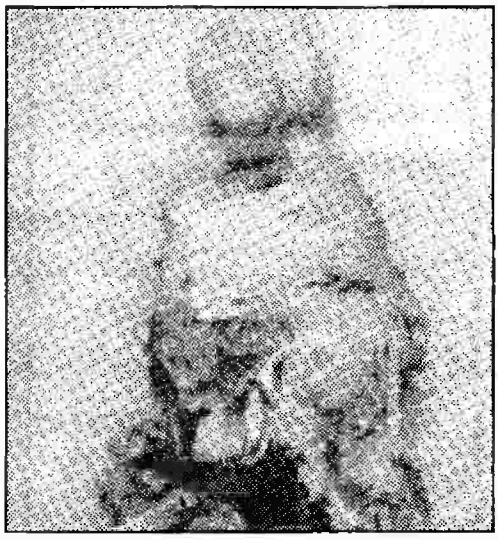

مومياء لأحد القرود المحنطة بالمتحف المصرى بالقاهرة

نقش على جدران مقبرة مرى مرى بسقارة

لقد ترك لنا المصرى القديم ثروة معلوماتية رائعة تعكس جوانب الحياة المتنوعة سواء حياة البشر أم الحيوانات أم النباتات والعلاقات الحميمة التى تربط كل طرف بالآخر.

ولأهمية الكلب فى حياة المصرى، اهتم بعلاجه كما ورد فى البردية «علاج كلب مصاب بكيس دودة: إذا مشى وشم الأرض وقع، فقل عنه إنه مصاب بضعف سرى، فبعد تلاوة الرقى، يجب علىّ أن أدخل يدى فى عضوه المسمى همو وبجانبى مقدار من الماء. فإذا وصلت يد الإنسان لتغسل عظمة ظهره، فيجب على الشخص أن يغسل يده بالماء بعد كل مرة تغطى يده إلى أن تكون قد أخرجت كل الدم المتجلط بواسطة الحرارة أو بواسطة أى سبب آخر، أنت سوف تعرف أنه شفى عندما يخرج منه المخاط».

وقد عرف الكلب منذ عصور ما قبل التاريخ وأشار له المصرى بايويو، فقد استأنسه منذ ذلك الحين، ووجد فى

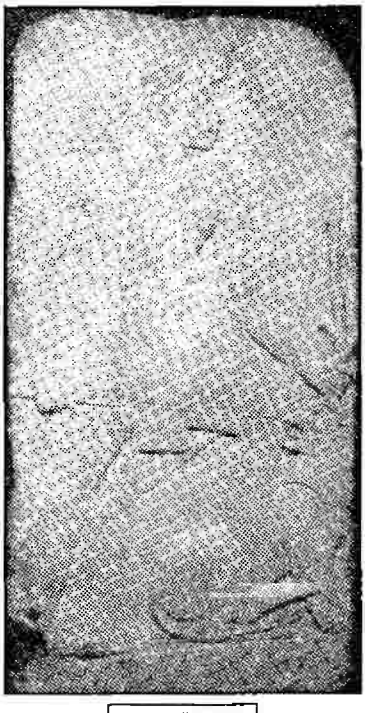

رحلة صيد

مصر العديد من السلالات المختلفة للكلاب.واستعان المصرى بالكلاب فى الصيد وفى الحروب أحيانا. كما استعان بهم فى الرعى لحراسة الغنم وفى الحقل، ويعتبر المصرى أول من وضع الطوق حول عنق الكلاب التى كان أحيانا يدفنها بجواره بعد الموت ويحنط بعضها، ولا عجب إذ إنه من هذا المنطلق ولدرايته بالشكل التشريحى للكلب تمكن من الأسلوب الأمثل لعلاجه فى حالة المرض. وسعى إليها من منطلق تجاوبه مع الحيوان وحبه له ولرغبته فى تخفيف ألمه.

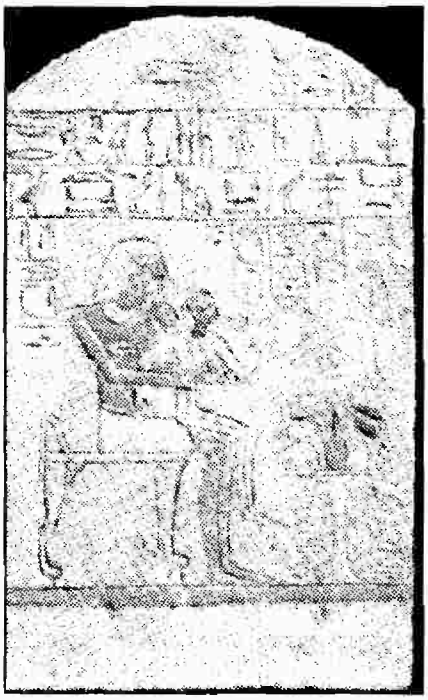

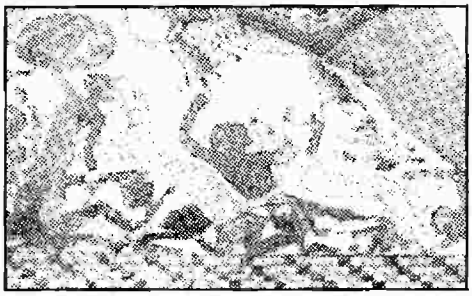

الصيد بمصاحبة الكلاب

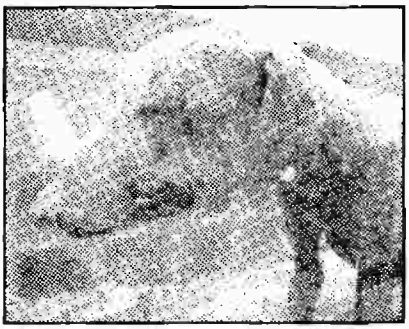

استئناس الكلاب وتحنيطها

وشاع فى مصر منذ عصر ما قبل الأسرات تقديس بعض الحيوانات منها العجل الذى اعتبر مع بداية عصر الأسرات رمزا للقوة الجسدية التى يجب أن يتحلى بها ملك مصر.

وكان الثـور المقدس يدعى هبو باللغة المصرية القديمة ومـن المعتقد أن روح بتاح تسـكنه، ويتم اختياره بعناية حيث يتـم تحنيطه بعد الوفاة ودفنه بمـا يليق بمكانته المقدسة فى جبانات خاصة بالعجول فى سقارة وغيرها.

يرجـع تقديس المصـرى للحيـوان نسـبة للقدرات الإلهية التى يجسـدها الحيـوان بصفة عِامة والتى حباه بها خالقـه. فالوجود طبقا لمفهومـه يدين لخالق واحد اكتسبت منه المخلوقات قاطبة بعضا من قدراته وصفاته، لذا لـزم على الإنسـان احترام هذه القـدرات والصفات لدى الآخـر أيا كان كنهه، فهى أولا وأخيرا منح إلهية وهبهـا الخالق وخص بها عوالم الحيوان والطير والنبات على نفس الدرجة التى خص بها الإنسـان ووهبه قدراته المعروفة لديه.

وعرف الثور بقوته الجسدية وقدرته على العمل الشاق وهى صفات يجب أن يتحلى بها ملك مصر، وكان لقب الثور القوى من الألقـاب الملكية ذات الدلالة الواضحة، وقد صور الملوك عبر التاريخ يتحلون بذيل الثور.

وخصص لقب ثور لإصباغ صفة القدرة على الإخصاب علـى من يطلق عليـه، فأوزيريس هو ثـور الغرب وثور العالم السـفلى، ورع هو ثور التاسوع الذى يجدد شبابه، ومـين هو ثور أمه الـذى يخصب النبـات اللازم لمرعى الحيوان... الخ

ويرمـز الثور المبين فـى المنظر السـابق فى الصلابة المعروضـة فى متحف اللوفر بباريـس للقوة والقدرة على القضـاء على العدو، لذا اسـتعان به الفـلاح فى الحقل حيث عاونه خير عون.

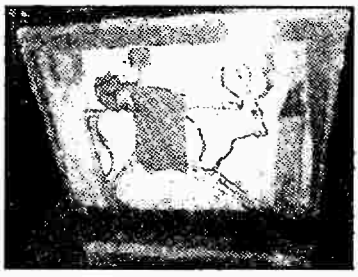

لوحة نادرة تعرض فى متحف شامبليون بفرنسا، والثور هنا يرمز لكل من الشمس وأوزيريس أى الحيـاة والموت وبمعنى آخـر الفيضان والجفـاف لأرض مصر.

الثور رمز القوة الجسدية

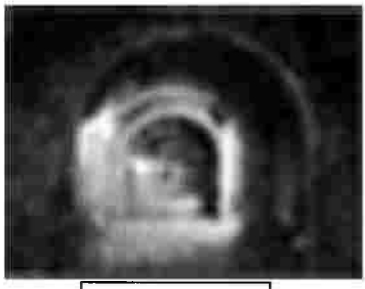

سراديب السيرابيوم

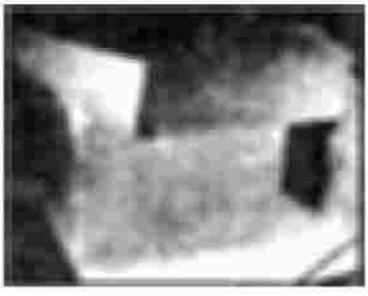

أحد التوابيت الضخمة لدفن العجول فى سقارة

واهتمام المصرى العقائدى بهذا الحيوان امتد إلى إعداد مدافن خاصة له مثل السرابيوم فى سقارة الذى يحتوى على العديد من الدفنات الخاصة بالثور الذى حنط ودفن فى توابيت جرانيتية ضخمة ودفعت هذه المفاهيم الطبيب للاهتمام بالحيوان بنفس القدر الذى يحظى به الإنسان، فسجل الطبيب المعلم فى بردية كاهون الطبية: «إذا رأيت ثورا مصابا بالهواء أو البرد نفت، وعيناه تفرزان دموعهما بغزارة، وجبهته ذات أسارير، ولثته حمراء، وعنقه متورم، اتل الرقية عليه، واجعله يرقد على جانبه، ورشه بالماء البارد، دلك عينيه وحوافره وكل جسمه بالقرع أو البطيخ، بخره بالقرع. انتظر...الراعى...يغمس التى تتشبع بخره أثناء الغمس حتى يذوب فى الماء... دلكه بالخيار، اجرحه على أنفه وذيله.

قل عنه إن ما جرح به إما يموت أو يحيا. فإذا لم يشف وتجعد تحت أصابعك وغمز بعينيه، فضمد عينيه بقطعة من الكتان محروقة فى النار لتوقف غزارة الدموع».

اكتشف العالم الفرنسى مارييت السيرابيوم فى الأول من نوفمبر ١٨٥٠م طبقا لما كتبه الجغرافى سترابو فى هذا الصدد. وقد تم العثور داخل السيرابيوم على مومياء الكاهن خا إم واس ابن رمسيس الثانى الذى كان مكلفا بترميم هرم أوناس وهى المومياء الأدمية الوحيدة فى المقبرة.

وذكرت البردية أيضا فى علاج الثور: «علاج عينى ثور مصاب بمرض أوشاو فى الشتاء. إذا رأيت ثورا مصابا بمرض أوشاو فى الشتاء وعيناه ثقيلتان، اجرحه كالمبين سابقا.

إذا شاهدت ثورا مصابا بمرض أوشاو فى الشتاء منذ وصوله فى الصيف، وكان صدغاه بهما أسارير، وعيناه تزرفان الدموع، ومعدته تتأوه وهو لا يمشى،... كل جسمه به...كالذى يصنع للمجروح أو كالمصاب بمرض سكت».

والأسلوب الذى لجأ إليه الطبيب فى تدوين الحالات المرضية للحيوان لا يقلل من الأهمية التى يمنحها الطبيب له، بل على عكس هذا يضع الحيوان على قدم المساواة مع الإنسان، فيبدأ باسم المرض ثم توصيف أعراضه ثم العلاج وهى نفس الخطوات التى لجأ إليها فى الحالات البشرية، فالعلم لا يتجزأ.

وقـد ذكرت البرديـات العديد من العلاجات مـن أضرار الحيوان على الإنسـان منها عضة التمساح ولدغ الحشرات ولدغة الثعبان والقضاء على القمل... إلخ

أما الثعابين بصفة عامة، فهى تمثل عالم الفوضى الأزلية، وكان المصرى يخشـاها ويعتبرها من سكان العالم السفلى. فالثعابين عامة سواء سامة أم غير سامة شريرة بطبيعتها لذا وجب اتقاء شرها، فكان السحر خير سلاح لتحييدها أو تقديسها اتقاءً لشرها وتفاديا لأذاها.

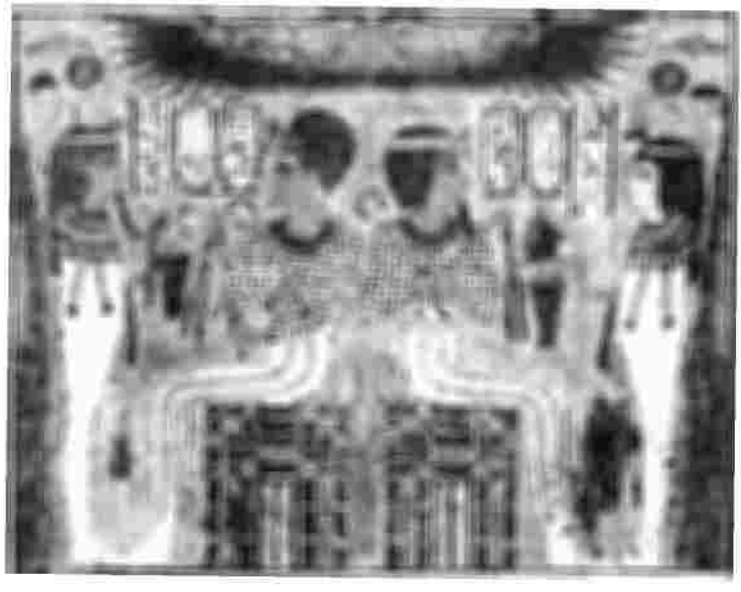

يظهر ثعبان الكوبرا على جبين أمنحتب الأول إذ إن كلا الشكلين يمثلانه، ويظهر الثعبان أيضا على جانبى قرص الشـمس المجنـح، والثعبان نصل ملكـى يرمـز للحمايـة التى يسـبقها أيضـا على قرص الشـمس المجنح